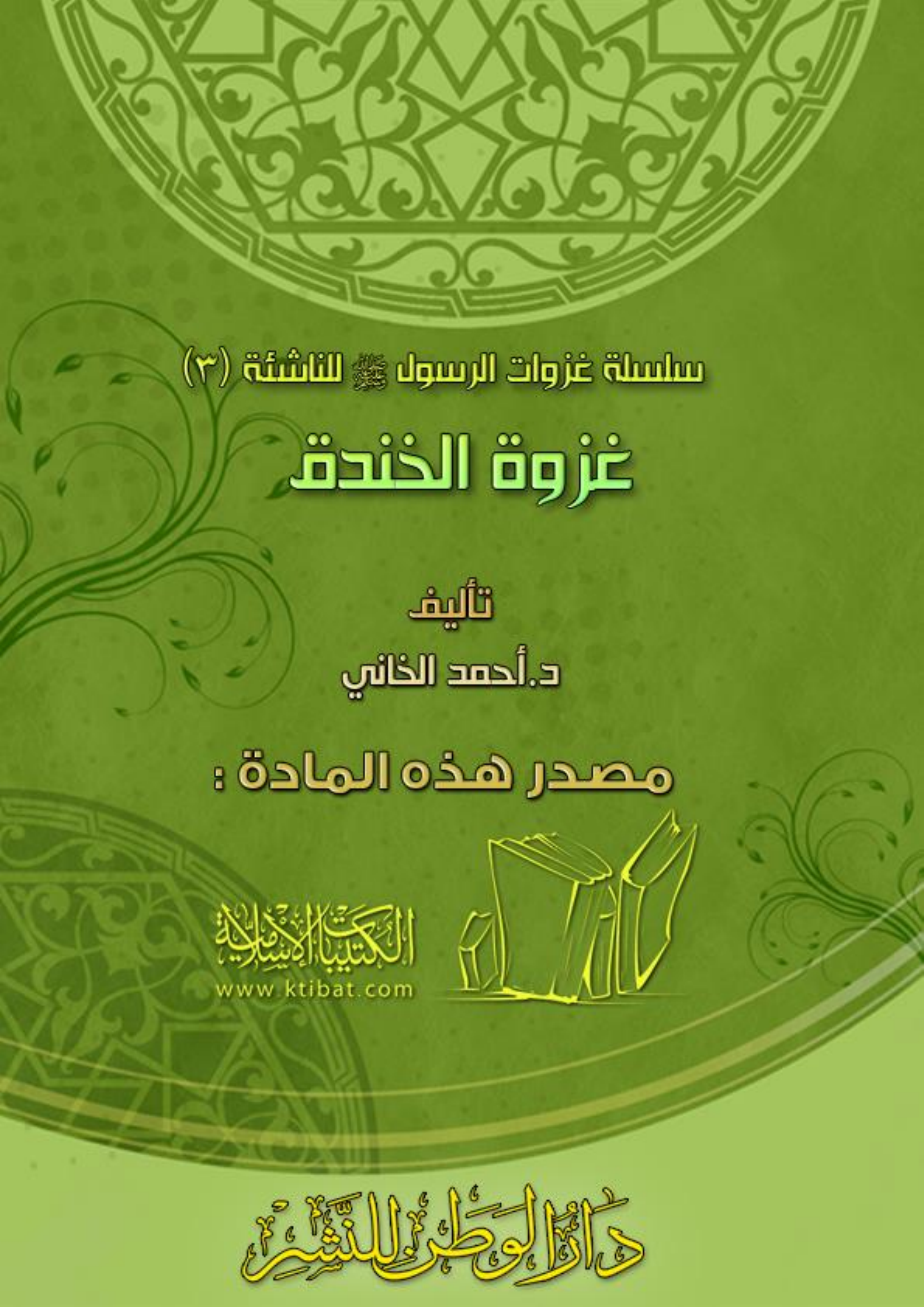

سلسلة غزوات الرسول ﷺ للناشئة (٣)
غزوة الخندق
تأليف
د.أحمد الخاني
مصدر هذه المادة :
الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com
دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على محمدٍ رسول الله وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإنَّني أقدِّم يا أبناء الإسلام غزوة الأحزاب أو الخندق، وسببها أنَّ اليهود أرادوا أن يقتلوا الرَّسول ﷺ والمسلمين، فقتلهم الله تعالى بعد أن ردَّ المشركين خائبين لم يتحقق لهم أملٌ. ثمَّ فتح الله تعالى مكة على رسوله ﷺ، وأسلمت قريشٌ وأسلم العرب، وانطلقوا ينشرون الإسلام في العالم حتَّى وصلت دولتهم من الصين شرقًا إلى الأندلس وفرنسا غربًا، وأصبحت الدولة الإسلامية أقوى دولةٍ في العالم؛ لأنَّ المسلمين كانوا مجاهدين في سبيل الله تعالى.

***

عشرة آلاف سيفٍ

بعد غزوة أحدٍ، أراد اليهود أن يقتلوا كلَّ المسلمين في المدينة المنورة، ولكنَّهم يعرفون أنَّهم لا يستطيعون ذلك وحدهم، لذلك ذهب وفدٌ منهم إلى مكة، واجتمعوا بزعماء قريشٍ وعلى رأسهم أبو سفيان، وأقنعوه بأن يجهِّز جيشًا ويتجه به إلى المدينة ليقضي على الرَّسول ﷺ والمسلمين، فوافق أبو سفيان.

وذهب اليهود إلى قبيلة غطفان، وقابلوا رئيسها عيينة بن حصنٍ، وعرضوا عليه مثلما عرضوا على أبي سفيان، فوافق عيينة وطمع بالغنائم.

اجتمع الجيشان وبلغ عددهما حوالي عشرة آلاف مقاتلٍ، وتوجَّهوا إلى المدينة المنورة، وكان ذلك في السَّنة الخامسة للهجرة.

***

سلمان الفارسيُّ

انتشر خبر مسير الأحزاب في كلِّ الجزيرة العربية، وشاهد بعض الصَّحابة سلمان الفارسيَّ يمشي خارج المدينة المنورة بعد أن سمع الخبر، فقال له بلالٌ: ما لك يا سلمان تمشي وتنظر في الأرض بعد أن سمعت خبر زحف الأحزاب؟

قال سلمان: دعني أفكِّر يا بلال.

قال بلالٌ: قل لي بماذا تفكِّر يا سلمان؟

أجاب سلمان: إنَّني أفكِّر في طريقةٍ أمنع بها وصول جيش المشركين إلى المدينة المنورة.

قال بلالٌ: لله درُّك يا سلمان، إنَّك مثال المسلم الذي يستخدم ذكاءه لينصر الإسلام والمسلمين.

صاح سلمان: هاهنا، هاهنا. وأشار إلى الأرض، وكان يمسك عودًا، فخطَّ به على الأرض خطًّا طويلًا.

قال بلالٌ: إنَّني لم أفهم شيئاً يا سلمان.

قال سلمان: انظر إلى جهة الشَّرق ألا ترى هذه الحرَّة؟

أجاب بلالٌ: نعم إنَّني أراها، وماذا تعني بهذا السُّؤال؟.

أجاب سلمان: أعني أنَّ الخيل لا تستطيع أن تهجم على المدينة المنورة من جهة الشَّرق، لأنَّ صخور الحرَّة تمنع تقدُّم الخيل. فأكمل بلالٌ قول سلمان: وأيضًا يا سلمان، هذه الحرَّة الغربية تمنع صخورها تقدُّم الخيل.

قال سلمان: وفي الجهة الجنوبية النخيل يمنع تقدُّم الخيل. إذًا يا بلال ها هنا في الجهة الشَّمالية من المدينة يحسن أن نحفر الخندق.

***

حفر الخندق

وبينما كان المسلمون مهمومين يفكِّرون في طريقةٍ يوقفون بها زحف جيش المشركين إليهم، دخل سلمان على النبيِّ ﷺ وقال: السَّلام عليكم ورحمه الله وبركاته. ردَّ النبيُّ ﷺ التحية بأحسن منها، ثمَّ قال سلمانُ: يا رسول الله، إنِّي رجلٌ أعجميٌّ لكنَّني مسلمٌ وأريد أن أشارك المسلمين همومهم لنصرة الإسلام، يا رسول الله، كنَّا إذا هاجمنا العدوُّ حفرنا حول مدينتنا خندقًا، وعندما يراه الأعداء لا يستطيعون أن يصلوا إلينا، فيعودون خائبين، وإنَّني أقترح أن نحفر الخندق من الجهة الشَّمالية للمدينة؛ لأنَّها المنفذ الوحيد لدخول المشركين، وأنا خبيرٌ بحفر الخنادق.

وافق النبيُّ ﷺ على حفر الخندق وقال: «سلمانُ منا آل البيت» وخصَّص لكلِّ عشرة رجالٍ أن يحفروا أربعين ذراعًا، وشارك النبيُّ ﷺ أصحابه حفر الخندق بيديه الشريفتين، وانتهى المسلمون من حفر الخندق في ستة أيامٍ.

***

على شواطئ الخندق

وحينما تقدَّم المشركون إلى المدينة المنورة كانوا يظنون أنَّهم سيقتلون الرَّسول ﷺ وكلَّ المسلمين، وقال لهم اليهود: يجب ألا يبقى على وجه الأرض مسلمٌ واحدٌ. ولكنَّ عناية الله أكبر من كيد اليهود والمشركين.. الله سبحانه هو الذي ألهم سلمان حفر الخندق، ولما رآه المشركون تعجَّبوا وغضبوا وقالوا: كيف نصل إلى المسلمين لنقتلهم؟ ثمَّ نصبوا خيامهم وعسكروا أمام الخندق، والمسلمون في الجهة المقابلة يحرسون المدينة من غدر اليهود والمنافقين، وبدأت الحرب بالتراشق بالنبال بين المعسكرين.

وكان بين النبيِّ ﷺ وبين اليهود عهدٌ أن يدافع اليهود عن المدينة مع النبيِّ ﷺ إذا هاجمها الأعداء، ولكنَّ اليهود لم يدافعوا عن المدينة، ولم يقدِّموا أيَّ مساعدةٍ للمسلمين حينما جاء جيش المشركين.

ولما نقض اليهود العهد اشتدَّ البلاء على المسلمين، وأصبحوا هم وحدهم في جهةٍ، والمشركون في جهةٍ أخرى يساعدهم اليهود والمنافقون.

***

عليٌّ يقتل عمرًا

وكان المسلمون في معسكرهم، والأعداء يحيطون بهم من كلِّ جانبٍ، كبحرٍ هائجٍ يريد إغراق جزيرةٍ صغيرةٍ، ولكنَّ عناية الله ساعدت المسلمين حينما فكَّر بعض فرسان قريشٍ باجتياز الخندق، يتقدَّمهم عمرو بن ودٍّ العامريُّ، وقد عرفنا أنَّه جرح في معركة بدرٍ، ولم يشترك مع المشركين في غزوة أحدٍ، ولكنه اشترك معهم في غزوة الخندق؛ لينتقم من المسلمين، فقفز هو وابنه وبعض فرسان قريشٍ، واجتازوا الخندق إلى معسكر المسلمين، وكان خالد بن الوليد بين فرسان المشركين، ولكنَّه لم يقفز مع الفرسان؛ لأنَّه أدرك أن معركتهم مع المسلمين في هذه المحاولة خاسرةٌ.

ولما قفز الفرسان تقدَّم عمروٌ وصاح: هل من مبارزٍ؟ وكان البطل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه قد استشهد في معركة أحدٍ، فبرز البطل عليٌّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه وضرب عمراً بالسيف ضربةً شقَّت خوذه عمروٍ الحديدية، وفلقت رأسه فلقتين، وقتل ابنه معه وقتل فارساً ثالثاً. ولما رأى ذلك بقيَّة الفرسان، فرُّوا من المعركة كالغزلان.

***

نعيم بن مسعودٍ

كان مقتل عمرو بن ودٍّ العامريّ نصراً عظيماً للمسلمين، فلم يعودوا يفكِّرون بقتال المسلمين في معسكرهم.

وقد منَّ الله على المسلمين مرةً ثانيةً إذ هدى رجلًا من سادات المشركين إلى الإسلام وهو نعيم بن مسعودٍ، فجاء إلى النبيِّ ﷺ وقال: يا رسول الله، أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، وقال: يا رسول الله، أريد أن أساعد المسلمين. فلم يقلِّل النبيُّ ﷺ من شأنه؛ لم يقل له: أنت رجلٌ واحدٌ وماذا يفعل الواحد أمام عشرة آلاف مشركٍ وآلاف اليهود والمنافقين؟.. وإنَّما قال له: «خذِّل عنّا» فكتم نعيمٌ إسلامه عن قومه، واستطاع بمعونة الله تعالى أن يمزّق الحلف بين المشركين واليهود بإخلاصه لله ورسوله، ثمَّ بذكائه وواسع حيلته.

***

وارتحل الأحزاب

وبعد أن منَّ الله على المسلمين بتمزيق الحلف بين المشركين وبين اليهود، منَّ الله عليهم بالنَّصر حيث أرسل ريحاً عاصفةً على المشركين اقتلعت خيامهم، وملأت أعينهم بالرِّمال، فنادى أبو سفيان بالرَّحيل إلى مكة، فارتحل الأحزاب كلُّهم بعد أن ظلُّوا شهراً أمام الخندق.

وفي الطريق صاح عيينة رئيس غطفان: إنَّك خدعتني يا أبا سفيان حين قلت لي: سنغنم الغنائم، فأين هذه الغنائم؟ إنَّ رأسك سيكون غنيمةً لي. وبدأ بينهما الجدال، وانتشر الشرُّ بين قريشٍ وغطفان، وكادت الحرب تقع بينهما، ثم افترقا وقد صمَّم كلٌّ منهما ألاَّ يتعاون مع الآخر، بل يتربص به ليوقع به الأذى.

أمَّا المسلمون فقد عادوا إلى أهليهم آمنين فرحين بنصر الله تعالى.

***

وجاءت تصفية الحساب يا بني قريظة

وفي اليوم الذي عاد فيه الرَّسول ﷺ إلى المدينة المنورة نزل عليه جبريل عليه السلام يقول: إنَّ ربَّك يأمرك أن تسير إلى بني قريظة. فأمر النبيُّ ﷺ جيشه أن يسير إلى بني قريظة، وهم الذين جاءوا بالأحزاب ونقضوا العهد مع النبيِّ ﷺ، فحاصرهم المسلمون ثمَّ استسلم يهود بني قريظة كلُّهم، فقتلت رجالهم، واقتسم المسلمون أرضهم وأموالهم.

وهكذا نصر الله رسوله ودينه، وخلَّص العالم من غدر اليهود ومن شرورهم.

وبعد غزوة الأحزاب لم يعد المشركون يهاجمون المسلمين، بل صارت جيوش المسلمين تهاجم المشركين إلى أن فتح الله مكة المكرمة، وحطّم المسلمون الأصنام، فأسلمت قبائل العرب، وصاروا يدخلون في دين الله أفواجاً، ثمَّ حملوا راية الإسلام إلى العالم شرقاً حتَّى وصلوا إلى إندونيسيا والصين، وإلى العالم غرباً حتَّى وصلوا إلى الأندلس وبعض أراضي فرنسا.

فيا أبناء الإسلام يجب أن نجاهد في سبيل الله تعالى لنشر الإسلام في العالم من جديد.

***